الفصل الثالث

الحرية والتربية في الإسلام

« وجهة نظر »

*** تقديم :**

الحرية احدى القيم التى يؤمن بها كل فرد على وجه التقريب . وهى كالعدل والحق . كما أنها هدف تربوى يدعو الى التقدير • والموضوع الجوهرى . هو كيف يتمكن من يؤمن بالحرية بالعمل على تقدمها ورقيها •

وهذا بدوره يتوقف على التحديد الدقيق لمفهوم الحرية . ووفقا لهذا المفهوم يتحرك من يعتنقه بتبنى تقدم الحرية ورقيها • فطالما استطاع الفرد وتمكن أن يحقق أفضل الأهداف . حينئذ يكون حرا بشكل تام وحقيقى[1] •

وأفضل الأهداف عند الفرد . يعتمد أساسا على النظام القيمى الذى تعتنقه الجماعة . حينئذ يتحرك الفرد بما لديه من قدرات . ليسهم مع افراد المجتمع الآخرين المتوافقين معه لتحقيق مصالح الجماعة . واثراء جوانب حياتها المتعددة •

بيد أن هذه هى سمة الجماعة والأفراد المتكاملين : الذين ينخرطون فى مجتمع متكامل متعاون . لتحقيق المثل الأعلى من الحق والعدل •

« ••• وقد يقال أحيانا ان أعلى مرحلة من الحرية « الحرية التامة » وهى التى تتحقق بالارتباط بالله الذى هو الحق النهائى . الذى خلق الطبيعة وأدامها . وخلق الأفراد وأحسن خلقهم . ••• والذى نحتاج الى مساعدته لتحقيق أى هدف •

---

(١) فيليب هـ. فينكس . فلسفة التربية . ترجمة محمد لبيب النجيحى . دار النهضة العربية . القاهرة ١٩٦٥ . ص ٤١٣

يعتقد اذن أن أسمى مرتبة للحرية هى التى تعمل على أن تصبح الأهداف العلوية المقدسة أهدافا للفرد نفسه . وأن تستمد القوة من المصادر المقدسة اللانهائية لتحقيق هذه الأهداف . بطريقة مباشرة أو عن طريق الوكالات المادية أو الاجتماعية . فالحرية التامة ليست استقلالا انسانيا . ولكنها اعتماد واثق على الله وارادة الطاعة لارادته »[٢] .

وكأن الحرية بهذا . تسير وفق محددات وأنظمة وقيم . تضمن لها تحقيق الرقى داخل الجماعة الانسانية . ولما كانت التربية وسيلة لتعميق مفهوم الحرية لدى الفرد والجماعة . كانت التبعة كبيرة وضخمة على النظام التربوى المتبع داخل الجماعة .

ونظرة فى النظام التربوى . والمنهج الذى سلكه الرسول صلى الله عليه وسلم فى اعداد الرعيل الأول من المسلمين . ترينا قمة التطبيق الأسمى لبناء مسلم حر . فى نفسه . فى ماله . فى ارادته . فى عمله . فى تفكيره . فى شعوره . ووجدانه . وبالجملة حر فى شخصيته كلها . فى اطار النظام والتشريع الاسلامى . والذى يقوم على مبدأ « لا ضرر ولا ضرار » .

بهذا استطاع المسلمون أن يقيموا دولة . وأن يشيدوا صرح أمة من أعظم الأمم « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** »[٣] .

والاسلام الذى حرر العبيد وأطلق سراحهم . وسوى بين الناس جميعا عزز قيمة الحرية . وأكد على تدعيمها فى كل مسلم . فلا عدالة بدون حرية . قال تعالى : « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون** »[٤] .

وبناء على هذا . جاء دور التربية بمناهجها وطرق التدريس فيها ؛ لتؤدى دورها فى تحقيق هذا الهدف . وهذا ما سيحاول البحث أن يجيب عليه . مع التركيز بشكل خاص على التربية الاسلامية .

* * *

---

(٢) المرجع السابق ص ٤٣٦ : ٤٣٧

(٣) آل عمران : ١١٠ (٤) النحل : ٩٠

*** تساؤلات البحث :**

سيحاول البحث أن يجيب على الأسئلة التالية :

(ا) ما هى مفاهيم الحرية وأبعادها ؟

(ب) ما هو الدور التربوى فى بنـاء الحرية من وجهة النظر الفلسفية ؟

(ج) ما هى نظرة الاسلام الى الحرية ؟ وكيف تبنى فى المنهج التربوى الاسلامى ؟

أولا ــ مسميات ومفاهيم حول الحرية :

حتى يمكن تحديد نوع الحرية الدقيق . الذى يوافق الاسلام . جوهرا ومضمونا ، لا بد من التعرض للمسميات والمفاهيم التى تتردد كثيرا فى هذا المجال وكل مسمى هو فى حقيقته تعبير عن اتجاه نابع من الفلسفة العامة التى يتبناها هذا الاتجاه .

وفى هذا الصدد سنتعرض لمفهوم الحرية على الاطلاق ، ومفهوم الحرية فى الاسلام .

(ا) مفهوم الحرية على الاطلاق :

يذكر الشيخ محمد رضا فى معجم متن اللغة ص ١٧٦ أن المصطلح اللغوى للحرية أنها : « الأرض الرملية . وحـرية القوم : أشرافهم وخالصتهم . والحرة : الكريمة من النسـاء ضد الأمة (وهى جمع) حرائر ، ومن صفحة العنق : موضع مجال القرط ، ومن ليالى الشهر : أولها . ومن السحاب : الكثيرة المطر »[٥] .

وفى محيط المحيط للمعلم بطرس البستانى ص ٢٧١ يذكر أن « العبد بحر حرارا أعتق ، وتحرير الكتاب يعنى تقويمه وتحسينه ، وتحرير الوزن بعنى ضبطه بالتقويم ، وهى ... الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار ولها مراتب ، وهى حرية العامة من رق الشهوات وحرية الخاصة من رق الرسوم والآثار ... والمحرور من غلب على مزاجه حرارة غريبة فأطرحته عن طريق الاعتدال »[٦] .

أما المصطلح اللغوى للفظة الحـرية فى اللغة الفرنسية فيعنى : « حرية أخلاقية أولا ، وتعتبر الحرية بمثابة وجهة النظر الأخلاقية التى

---

(٥) جميل م. منيمنة . مشكلة الحرية فى الاسلام ، المشكلة الفلسفية ، دار الكتاب اللبنانى . بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤ م ، ص ١٨

(٦) المرجع السابق ، ص ١٨

تدعمها كشرط أساسى الحرية الطبيعية . وهى حرية الفكر التى تتحدد على أنها غياب ى اهتمام (حرجى) يعوق الارادة أو الذكاء • وهى حرية سياسية وتتحدد على أنها وضع شعب لا يتلقى أية سيطرة أجنبية »[٧] •

والحريه بمفهومها العام نوعان : داخلية وخارجية :

فالحرية الداخلية : تعنى حرية الاختيار والارادة بين أمرين متضادين . وهى تكون أعلى عند الانسان البالغ منها عند الطفل . كما تكون عند العاقل والسليم أعلى منها عند المجنون والمريض . والخارجية : تعنى حرية طبيعية وحرية مدنية وسياسية وحرية دينية وفكرية . وحرية صناعية وتجارية . وحرية عمل ؛ وحرية نقابات •

وتجمع تلك الحريات تحت ما يسمى فى العصر الحاضر « بالحريات العامة » وهى : جميع الحقوق المعترف بها للأفراد والجماعات تجاه الدولة وسلطتها[٨] •

وأما مفهوم الحرية فى المصطلح الفلسفى . فيختلف باختلاف المدارس الفلسفية . وهى : « ارادة سبقتها روية مع تمييز • وأما فى علم النفس فالحرية قد تعنى القدرة على تحقيق فعل أو امتناع عن تحقيق فعل دون الخضوع لأى ضغط خارجى : وهذا ما يقابل مفهوم الضرورة والجبرية • أما حرية الاختيار أو القدرية فهى قدرة الانسان على اختيار أفعاله • وهناك حرية الاستواء أو عدم الاكتراث . وكان المدرسيون والديكارتيون يطلقون هذا الاصطلاح على تساوى الامكان فى الفعل وعدم الفعل »[٩] • « والحرية هى حالة الكائن الانسانى الذى يحقق فى أفعاله طبيعته الحقيقية ؛ المعتبرة أساسا . مجسدة فى العقل والخلق • وبهذا المعنى فان كلمة حرية هى مصطلح معيارى محض يميز حالة مثالية . حيث تكون الطبيعة الانسانية محكومة بشكل نهائى بما ينطوى فيها من عنصر متسام كما يذهب الى ذلك « اسبينوزا » و « المدرسة الرواقية »[١٠] •

وكل فرد هو على الاطلاق يريد ويفكر ويرجو ويعمل . ولكن يستحيل أن يستقل عما يحيط به ؛ فالارادة الأولية الوقتية ؛ تكون فى

---

(٧) المرجع السابق ؛ ص ١٨ ؛ ١٩

(٨) المرجع السابق ؛ ص ١٩ (٩) المرجع السابق ، ص ٢٠

(١٠) المرجع السابق ، ص ٢٣

بدايتها على شكل خاطر . وهى تختلف عن الارادة الحقيقية التى يهذبها التفكير والنقد وظروف المجتمع • فكل رغبة يريد المرء تحقيقها . لا يلبث أن ينقدها بفكره . حين ينظر فى النتائج التى ستترتب على تلك الرغبة . وحين يدرك ما سيعترض سبيله من رغبات الغير وآمالهم ومجهوداتهم وحينئذ يحدث تعديل فى الرغبات بالاتفاق الضمنى أو الارادة المشتركة •

« فاذا بحثنا فى الحرية . فلا يصح أن نتصور فردا مجردا عن طبيعة الاجتماع كان له يوما ما وجود غير اجتماعى وأن هذا الاجتماع طرأ عليه فانتقص من حريته . وانما يجب اعتبار الحياة الاجتماعية فى الانسان بوجوده الفردى . وأن هذه الحياة كائن ينمو ويتطور لبيلغ ما فى طبيعة الانسان من رقى • اذن تعديل الرغبة التى تكون فى شكل خاطر لدى أول سنوحها ليس فى الحقيقة تقييدا . وانما هو فى الواقع تطور ورقى بها وتحويلها من طريق ارادة الفرد الى ملتقى الارادات أو ارادة الجماعة باعتبارها كلا غير قابل للتجزئة »(١١) •

والحرية كما يراها أحد أساتذة الاجتماع . أن يكون المرء نفسه . ولكن كيف يكون المرء نفسه ؟ لن يكون كذلك الا اذا تمكن فعلا من الوصول الى ما يريد حقيقة لا ما يظن أنه رغبته •

والفرد وحده لا يمكنه أن يدرك حاجته الحقة أو رغبته الا بوسيلة الائتلاف بالجماعة فيكون من مجموع الارادات . ارادة عامة تدرك مصلحة الجماعة ورغبتها الحقة • « والكل (مجموع الأجزاء) يكون أقوى وأقدر على تحقيق الرغبة العامة اذا كانت الارادات الجزئية قوية وهذه تكون أقوى ما يمكن اذا كانت القوى القائمة بعملية تعديل الارادات الجزئية أقل ما يمكن . ولن يكون هذا الا بالنهوض بالتربية واتساع الصدر للنقد ورقيه »(١٢) •

(ب) مفهوم الحرية فى الاسلام :

كفل الاسلام للفرد المسلم الحرية فى كل الجوانب . التى من شأنها ضمان الاتساق والتكامل فى شخصيته . بحيث يتحقق للطبيعة الانسانية كل متطلباتها البدنية والروحية والعقلية والعاطفية والاجتماعية والجمالية

---

(١١) سعيد اسماعيل على . ديمقراطية التربية الاسلامية ؛ دار الثقافة للطباعة والنشر ؛ القاهرة ؛ ١٩٧٤ م ؛ ص ٢٨

(١٢) المرجع السابق . ص ٢٩

والثقافية • وسنتناول بالتفصيل فيما يأتى مفهوم الحرية فى العقيدة . فى التفكير . فى الرأى . فى العمل . فى نظم الحكم . وفى الوجدان •

١ — **حرية العقيدة** : الحرية فى العقيدة والحرية الدينية . هما جناح الحرية المعرفية . ولقد تكفل الاسلام بحريه العقيدة . بل وجعلها فى الدرجه الاولى • قال تعالى : « **فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** »[١٣] كما جاءت الحرية الدينية فى الدرجة الثانية . قال تعالى : « **لا اكراه فى الدين** »[١٤] فاذا التزم الفرد بحريته فى الاعتقاد مطبقا حريه الدينية كانت التكاليف جميعها هى المعبر الحقيقى عن حريته الاجتماعية[١٥] •

بهذا أتاح الاسلام للفرد حرية العقيدة . وهو فى دار الاسلام . وتحت حكمه . طالما أن هذا الفرد قد بينت له دعائم الاسلام ودعى اليه • فاذا فضل الاسلام واختاره . فقد سعد ونجا . وان اختار الاستمرار على دينه وعقيدته فقد فضل الشقاء والكفر والعذاب والضلال والنار . وقامت عليه الحجة . وسقط عذره أمام الله عز وجل •

وحيث قد مارس هذا الفرد حريته واختار العقيدة التى يرغبها . عليه أن يلتزم بدفع الجزية . على شرط أن لا يتعرض للاسلام والمسلمين بنوع ما من الضرر . وفى نفس الوقت فهو يخضع لأحكام الدولة الاسلامية •

وأما من أسلم ثم ارتد ورجع فى اسلامه . فقد استوجب القتل . لأنه رجع عن الحق الذى تبينه وعرفه . وأقر به ؛ الا أن يتوب ويعود الى الاسلام[١٦] • قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم** »[١٧] •

وفى معنى محبة الله لعباده الواردة فى الآية يذكر الامام البيضاوى :

---

(١٣) الكهف : ٢٩ (١٤) البقرة : ٢٥٦

(١٥) جميل م. منيمنة . مشكلة الحرية فى الاسلام . المشكلة الاجتماعية . دار الكتاب اللبنانى . بيروت . ط ١ . ١٩٧٤ م ؛ ص ٥

(١٦) عبد الرحمن بن حماد آل عمر . دين الحق . الرياض . مطابع الرياض . ١٣٩٥ هـ . ص ٦٦ . ٦٧ (١٧) المائدة : ٥٤

« فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ، ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ، ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه »[١٨] .

واذا كان الاسلام قد تشدد فى شأن المرتد ، فقد أباح لغيره من غير المسلمين من أهل الكتاب . حرية الزواج والطلاق والنفقة وفقا لعقيدته . يتصرف فيها كما يشاء دون قيد أو حد . كما ضمن الاسلام صون كرامته . وحفظ حقوقه ، واقراره على المناقشة والجدال فى حدود العقل والمنطق . والتزام الآداب والبعد عن الخشونة والعنف . كما أن المرأة اليهودية أو النصرانية تحت زوج مسلم ، أقرها أن تمارس شعائرها الدينية دون أن يمنعها زوجها[١٩] .

والاسلام بهذا المنهج وفر لغير أهله حريات كثيرة بجوار حرية الاعتقاد . كحرية التملك وحرية التعليم .

ولكن ثمة قاعدة أساسية . ومدارا جوهريا ترتكز عليهما حرية العقيدة . حتى لا تتفشى الفوضى ويفسد النظام . وتعم الهمجية ، لا فى مجال الواقع فحسب ، بل فى مجال القانون كذلك ، هذه القاعدة هى الالزام ، الذى يعد بمثابة العنصر النووى الذى يدور حوله كل النظام الأخلاقى . والذى قد يؤدى فقده الى سحق الحكمة العملية ، ذلك أنه اذا لم يكن هناك الزام ، فلن تكون هناك مسئولية ، واذا انعدمت المسئولية ، سادت الهمجية ، وعمت الفوضى[٢٠] .

فى ضوء هذه القاعدة وهذا المبدأ (الالزام) نبه القرآن وحذر من اتباع الهوى دون تفكير : « **ولا تتبع الهوى فيضلك** »[٢١] « **فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا** »[٢٢] كما حذر من الانقياد الأعمى ، والخضوع الذى

---

(١٨) الامام ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازى البيضاوى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المسمى تفسير البيضاوى » دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ ، ص ١٥٣

(١٩) السيد سابق ، عناصر القوة فى الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربى ، ١٩٧٨ ط ٢ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩

(٢٠) محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق فى القرآن - دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن . تعريب وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية . الكويت ط ١ ، ١٩٧٣ ، ص ٢١

(٢١) سورة ص : ٢٦ (٢٢) النساء : ١٣٥

لا مبرر له . سوى اتباع الآباء . دون تفكير أو رويه . قال تعالى : **« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون »**(٢٣) . وهل يقدم الذين يريدون السير على سنة أسلافهم على الانقياد لهم دون تمييز حتى ولو **« كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون »**(٢٤) .

والفرد لديه العقل الذى هو عنصر خلقى تكمن فيه عناصر ومكونات الشخصية المستقلة . القادرة على المقارنة والتقويم والاختيار والحرية والمشروعية(٢٥) .

والاسلام حين يؤسس المجتمع المؤمن فى وحدة واحدة . لا تقبل الانقسام الى وحدات جزئية . يؤسس ذلك فى ظل وحدة العقيدة والشريعة . فحين أباح حرية العقيدة . منع قيام غير المسلمين على الحكم . بل وحد من نظام المحالفات ضمانا لوحدة المجتمع وسلامته . فلا يمكن أن تبنى حرية العقيدة بدون مضامين وحدود تصون المجتمع المؤمن وتضمن له وحدته وتماسكه .

فلا يباح اتخاذ غير المؤمنين أولياء . قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا »**(٢٦) . ويؤسس القرآن هذا المبدأ حتى لا تشيع البلبلة حرص على وحدة الجماعة المؤمنة . واذا تعددت الطوائف فان الاسلام وضع ما يسمى « بالتقية » قال تعالى : **« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة »**(٢٧) . يعنى على رأى الزمخشرى فى الكشاف (ص ٣٥١) : « الا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه » . وبهذا يمكن ترسيخ وحدة الجماعة المؤمنة من جهة ؛ كما يمكن ضمان حريتها من جهة ثانية . طالما حرم الاسلام تولى غير المسلمين قيادة المؤمنين . وهذا مما يؤكد ويقوى قوله تعالى : **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »**(٢٨) .

---

(٢٣) الزخرف : ٢٣ (٢٤) البقرة : ١٧٠

(٢٥) المرجع السابق . ص ٢٥ (٢٦) النساء : ١٤٤

٢٧١ آل عمران : ٢٨

(٢٨) مشكلة الحرية فى الاسلام : المشكلة الاجتماعية . مرجع سابق ص ٨ - ٩ — والآية من سورة التوبة : ٧١

والاسلام حين يؤسس وحدة المجتمع وتماسكه . على أساس حرية التعقيد . لم يرغم أحدا على اعتناق الاسلام . بل ترك للفرد حرية الاختيار . فلا قهر ولا ارغام بل عرض لحقائق الاسلام . وترك الانسان نفسه ليميز بين ما هو عليه وبين دين الاسلام .

ولقد حاول بعض اصحابه فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم . أن يرغموا أناسا بأعينهم على اعتناق الاسلام . فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الاتجاه وهو فى مرتكز القوة . بل واشمأزت نفسه من هذا الوضع الوحشى المخيف . الشديد الخطر على حقائق الدين . حتى فى ممارسة العبادة . لغير المسلمين . ممن يقدمون الى بلاد الاسلام لسبب ما . وحتى فى أماكن عبادة المسلمين . وفى الحالات الطارئة أجاز الرسول صلى الله عليه وسلم . وفد نجران من النصارى أن يصلوا بمسجده . حين حانت صلاتهم . بالرغم من اعتزام الناس منعهم . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « دعوهم » فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم .

وسار على المنهج ذاته . خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعمر رضى الله عنه . يقول للعجوز النصرانية : « أيتها العجوز أسلمى تسلمى . ان الله تعالى بعث محمدا الينا بالحق » فتقول العجوز : « وأنا عجوز كبيرة . أموت عن قريب » ؟ فلا يملك عمر وقد جرده رفق الاسلام من بطشه المعروف . الا أن يقول : « اللهم فاشهد . لا اكراه فى الدين » .

وحين لم يسترح أحد حكام المسلمين ، فى بعض أطوال التاريخ الاسلامى . الى اعتناق الأقليات دين الاسلام ، لأنه يكسر الخراج ويحد من الجبايات . اضطر عمر بن عبد العزيز ازاء هذا أن يكتب الى هذا الحاكم المسلم مستنكرا عليه ذلك : « ان محمدا بعث هاديا ، ولم يبعث جابيا » . وفى عهد الدولة العباسية لم يكن يقبل الاسلام من أحد الا بوثيقة أمام القاضى ينفى فيها جميع شوائب الاكراه[٢٩] .

٢ ــ **حرية التفكير** : طالما أن الانسان هو موضوع التربية ، فان قيمة المصدر التربوى تقاس بمدى احترام هذا المصدر لعقل هذا الانسان . فبالعقل يتمكن الانسان من التأمل والفهم والتدبر والتعليم .

---

(٢٩) سعيد اسماعيل على ، ديمقراطية التربية الاسلامية . المرجع الاسبق . ص ١٤٠

ومن هنا جاء القرآن الكريم مشيدا بالعقل . معولا عليه فى أمر العقيدة والتكليف . والاشارة الى العقل تأتى مباشرة دون قتضاب أو تلميح مؤكدة جازمة فى كل معرض من معارض الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . التى يحث فيها المؤمن على أن يحكم عقله أو يلوم المنكر على اهمال عقله وقبول الحجة عليه .

« ولا يأتى تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها علماء النفس . بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص »[٣٠] . قال تعالى : « **ولقد آتينا لقمان الحكمة** »[٣١] ، يعنى الفقه والعقل واصابة القول . وقال تعالى : « **فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون** »[٣٢] .

وقال تعالى : « **وأشهدوا ذوى عدل منكم** »[٣٣] أى ذو عقل . وقال تعالى : « **ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب** »[٣٤] أى عقل . وقال تعالى : « **كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون** »[٣٥] . وقال جل شأنه : « **لينذر من كان حيا** »[٣٦] أى عاقلا . وقال تعالى : « **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** »[٣٧] . وقال سبحانه فى سورة النحل : « **ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** »[٣٨] « **ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون** »[٣٩] « **ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون** »[٤٠] .

ويستنكر القرآن الكريم على الكفار عدم اهتدائهم للايمان ، لأن آباءهم لم يأتوه . فهم يسيرون على منوال آبائهم ويستهدون بهم فيقول لهم : « **أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** »[٤١] . وهو استنكار صريح وواضح للتقليد دون تحكيم العقل . « يقول الشيخ محمد عبده : تعليقا على هذه الآية : عقل الشىء معرفته بدلائله وفهمه

---

(٣٠) سعد اسماعيل على : أصول التربية الاسلامية . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٧٨ م ، ص ٢٧

(٣١) لقمان : ١٢
(٣٢) المائدة : ١٠٠
(٣٣) الطلاق : ٢
(٣٤) سورة ق : ٣٧
(٣٥) الروم : ٢٨
(٣٦) يس : ٧٠
(٣٧) النحل : ٤٣
(٣٨) النحل : ١١
(٣٩) النحل : ١٢
(٤٠) النحل : ٦٥
(٤١) البقرة : ١٧٠

بأسبابه ونتائجه . وأقرب الناس الى معرفة الحق ، الباحثون الذين ينظرون فى الدلائل بقصد صحيح .. لأن الباحث المستدل اذا أخطأ يوما فى طريق الاستدلال أو فى موضوع البحث فقد يصيب فى يوم آخر . لأن عقله يتعود الفكر الصحيح واستفادة المطالب من الدلائل . وأبعد الناس عن معرفة الحق . المقلدون الذين يبحثون ولا يستدلون . لأنهم قطعوا على أنفسهم طريق العلم . وسجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم . فهم لا يوصفون باصابة . لأن المصيب هو من يعرف أن هذا هو الحق . والمقلد انما يعرف أن فلانا يقول ان هذا هو الحق ؛ فهو عارف بالقول فقط ؛ ولذلك ضرب الله لهم المثل فى الآية بعد ما سجل عليهم الضلالة بعدم استعمال عقولهم »[٤٢] .

وفى ضوء هذه المنهجية حول احترام العقل . نهى الأئمة الأربعة عن الأخذ بأى من آرائهم وأقوالهم دون معرفة دليلهم معرفة يقينية . يقول الفقيه أبو الليث السمرقندى : حدثنا ابراهيم أبى يوسف عن أبى حنيفة أنه قال : لا يحل لأحد أن يأخذ قولنا ما لم يعلم من أين قلناه . كما أجاب عصام بن يوسف عن مسألة كثرة خلافه لأبى حنيفة قال : ان أبا حنيفة أوتى ما لم نؤت . فأدرك فهمه ما لم ندركه . ونحن لم نؤت من الفهم الا ما أوتينا . ولا يسعنا أن نفتى بقول ما لم نفهم من أين قال[٤٣] .

والاسلام يدعم حرية التفكير وبناء العقل السليم فى سبيل بناء المسلم الصحيح القوى . واذا كانت العبادات تعمق الايمان فى القلوب . فان التفكير السليم الحر يفتق الذهن ويصقل العقل ويجليه .

فوسيلة العلم العقل ؛ وبه يصل المرء الى الايمان بالله تعالى . ولا شك أن حرية التفكير بتلك الصورة تضع مبدأ هاما فى التطبيق التربوى بالنمط التالى :

١ ــ عدم التقولب فى قوالب الفكر التربوى ؛ كما شكلها المفكرون السابقون . حتى لا تكون قيدا يحد من حركتنا فى رؤية الاختلافات بين مجتمع اليوم ومجتمع الأمس .

---

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ ، ٢٩

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٩

٢ ــ استخدام العقل بصفة دائمة ومستمرة ، لمواجهة متغيرات تحدث فى المجتمع ما دامت نبت المجتمع ومن غرسه .

٣ ــ ممارسة النقد البناء لصالح المجتمع بكل جرأة[٤٤] .

بتلك الصورة المشرقة للاسلام ، بنيت الدعوة الاسلامية بعد أن حررت العقول من الظلم والظلمات . ووقتها سهل الصعب وتيسر العسير ، وانطلق العقل من عقاله . وتخلص من جموده ليواجه منذ اللحظة الأولى عبدة الأوثان والأصنام ويرشدهم الى قدرة الخالق سبحانه وتعالى .

لذلك خلصهم الاسلام من التقاليد الموروثة عن الآباء ولفت الأنظار الى اله قادر **« ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه »**[٤٥] **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**[٤٦] .

٣ ــ حرية الارادة والرأى : هذا الكون الذى يعيش فيه الانسان خاضع لقانون طبيعى . فهو عالم المتتابعات من الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات . فكل ما فى الكون مرتبط بعضه ببعض ارتباط السبب بالمسبب . فما يحدث الآن نتيجة لما سبق وسببا لما يلحق . وهذا هو قانون الطبيعة الذى جعله الله فيها لتخضع له وتسير عليه باطراد . ولعل الكثير من الآيات الدالة على الجبر لا تشير الا الى هذا القانون الطبيعى . وحركات الأفلاك وحوادث الطبيعة وسائر أنواع الخليقة لها طريقها المرسوم الذى يخضع لهذا القانون .

أما الآيات التى تشير الى الانسان بنوع خاص على أنه مجبور فى أفعاله فتفهم على ضوء الآيات الأخرى التى تؤكد فاعلية الانسان ، وعلى ضوء ما عرف الاسلام من أن الانسان مسئول عن أفعاله الاختيارية .

وخير شاهد على هذا ، قوله تعالى : **« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »**[٤٧] فتدل الآية على أن الله لا يغير ما بقوم حتى يوجبوا هم حالات تؤدى الى هذا التغيير ، فالفعل المنسوب الى الله مسبوق بفعل الانسان بيد أن الآية فى عجزها تنص على أنه **« واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال »**[٤٧]

---

(٤٤) المرجع السابق ص ٢٩ ، ٣٠ (٤٥) الأنعام : ١٠٢

(٤٦) محمد عبد الله السمان ، المعانى الحية فى الاسلام ، دار الاعتصام ص ٣٥ ــ والآية من سورة الملك : ١٤ (٤٧) الرعد : ١١

وعجز الآية لا يتناقض مع صدرها مما قد يظن . لأنه ليس الا تصريح بأمر مطوى . والآية فى جملتها تقول : « اذا غير القوم ما بأنفسهم نحو السوء مثلا . فلا بد أن يحل بهم الهوان . ولا يملك أحد أن يدفع عنهم هذا المصير لأن خالق الكون وخالق قوانينه . جعل هذه القوانين مؤدية الى نتائجها . فالتتابع اذن هو تغييرات يحدثها الانسان بارادته . فتؤدى الى تغييرات أخرى فى حياة الانسان . بحكم هذا القانون العام »[٤٨] . ولعلنا نلمس فى الآية السابقة . روح الجماعة ومسئولياتها تجاه مستقبلها ومقومات حياتها . ومهما تبذل الدولة — أى دولة — من جهد فى توزيع الدخل على الأفراد فانها بما ستبذله من جهد وتضحية سيكون مخلا بمقتضيات العدل والنفع الاجتماعى . مع أنها تباشر مسئولياتها فى حرية وتعلن رأيها فى حرية وتقول كلمتها فى أمن . فلا مندوحة حينئذ من أن يظفر المجتمع بنفس الفرصة فيفكر بحرية ويمارس مسئولياته ويقول رأيه من غير خوف .

ومن هنا فخير سياج للدولة لكى تحفظ الوطن وتصونه وتضمن له الانتصارات هو اشراك الشعب فى المسئولية فيكون واعيا بمشاكله . قادرا على فرض كلمته وارادته . من هذا المنطلق كفل الاسلام الحرية لكل فرد ، الحرية أن يفكر ويرى وفقا لما يقتضيه فهمه ويمليه عقله . وهذا ما يطلق عليه « الاجتهاد »[٤٩] .

والاجتهاد هو : « بذل الجهد فى استخراج الأحكام من شواهدها الدالة عليها بالنظر المؤدى اليها » .

فاذا عرضت قضية ليس فيها نص من كتاب أو سنة أو اجماع . فان الكتاب والسنة قد أقرا بالاجتهاد كأصل رابع من أصول الشريعة . قال تعالى : « **انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** »[٥٠] وقوله أيضا : « **ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** »[٥١] وقوله تعالى : « **كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون** »[٥٢] . وجاء فى

---

(٤٨) سعيد اسماعيل على . اصول التربية الاسلامية . مرجع سابق . ص ٣٥ ، ٣٦

(٤٩) سعيد اسماعيل على ، ديمقراطية التربية الاسلامية . مرجع سابق ص ١٤١ ، ١٤٢

(٥٠) النساء : ١٠٥

(٥١) النحل : ١١

(٥٢) الروم : ٢٨

السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن : « بم تقضى » ؟ قال : بما فى كتاب الله ، قال : « فان لم تجد فى كتاب الله » ؟ قال : أقضى بما قضى به رسول الله • قال : « فان لم تجد فيما قضى به رسول الله » ؟ قال : أجتهد برأيى • قال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله » •

ومن ذلك يتبين أن هذه الآيات والأحاديث دالة على أن الاجتهاد أصل رابع فى التشريعة وأنه يسمى : بالاجتهاد ، وبالرأى ، وبالعقل[٥٣] •

من هذا المنطلق امتلأ القرآن الكريم بالآيات الكثيرة التى تتضمن حرية الارادة والاختيار فيما يعرض للمسلم ، ما دام ذلك لا يتعارض مع شرع رب العالمين • قال تعالى : **« ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين »**[٥٤] وقال جل شـــأنه : **« من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعا بصيرا »**[٥٥] • وقال تعالى : **« يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا • وأن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما »**[٥٦] •

أما السنة المطهرة فقد امتلأت كلها بحرية التعبير عن الرأى والنقد البناء ، وكانت السنة قمة فى هذا الباب قولا وعملا • فحين نزل النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر سأله الحباب بن المنذر الأنصارى : أمنزل أنزلك الله اياه ؟ أم هى الحرب والمكيدة والخديعة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « بل هى الحرب والخديعة » ويشير الصحابى الى منزل جديد فينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأيه • وفى غزوة أحد ارتأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتحصن المسلمون بالمدينة وقد كانوا قرابة الألف ، بينما كان المشركون ثلاثة آلاف مقاتل • وقد كان هذا الرأى من النبى صلى الله عليه وسلم مؤسسا على أن جيش المشركين اذا نزل بجبل أحد (خمسة أميال من المدينة) فقد نزل المشركون بشر مقام ، وان دخلوا المدينة قوتلوا وحوصروا وكانت للمسلمين الغلبة ،

---

(٥٣) محمـــد معروف الدواليبى . المدخل الى علم أصول الفقه . دار الكتاب الجديد (ط ٥) ١٩٦٥ ، ص ٥١ ، ٥٢

(٥٤) آل عمران : ١٤٥ (٥٥) النساء : ١٣٤

(٥٦) الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩

حيث يصبح جيش المشركين فى موقف صعب ؛ لمحاصرتهم من أمامهم ومن فوقهم • فمن أمامهم مقاومة جيش المسلمين . ومن فوقهم رمى النساء والأطفال بالحجارة • وحين ارتأى الكثرة من الصحابه الخروج للمشركين بأحد . نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأيهم وكان ما كان من تضييق الخناق على المسلمين فى تلك الغزوة مما أدى الى الحاق الهزيمة بجيش المسلمين •

ومع هذا لم تترك تلك المشورة أثرا فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بمبدأ المشاورة والأخذ بالآراء بالرغم من تلك النتيجة التى خلفتها تلك المشورة(٥٧) • واذا كانت المشورة حقا للناس . ان يتشاوروا فيما يعن لهم من أمور فان الاسلام كفل للانسان كذلك حريته فى أن يكتمل بنيانه العضوى بلقمة العيش التى تقيمه رجلا أو امرأة ويكتمل كذلك أمنه على حياته ورزقه وبيته وكرامته وملكه •

وليس من شىء ينقص الرجال ويذل الجباه الا الفقر والخوف • ومن عجب أننا نقرأ آيات من القرآن الكريم . نقرؤها وكأننا ما مررنا بهـا . مع أنها تتضمن فى ثناياها هذين الأصلين ؛ التحرر من الخوف والفقر • فى مثل هذه الآيات نجد دستور الحرية الذى هو أساس الأمن • قال تعالى : « **لايلاف قريش • ايلافهم رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب هـذا البيت • الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** »(٥٨) • وعدم وصولنا الى فهم هذا الدين والوقوف تربويا ونفسيا منه نتج عن تغافلنا فى فهم منهجه وعدم اعمال فكرنا فى مضامينه(٥٩) •

ولقد طبق الخلفاء الراشدون منهج الحرية فى الرأى والارادة . سواء للفرد أو الجماعة . وفور أن بويع أبو بكر رضى الله عنه بالخلافة لفت أنظار المسلمين بل وطلبهم جميعا بتتبع أفعاله وأقواله بهدف النقد والوصول الى الكلمة الفصل والرأى الصواب فى كل ما يجد من أمر يمس مصلحة المسلمين • وصعد أبو بكر الصديق المنبر وخطب الناس قائلا : « لقد وليت عليكم ولست بخيركم . فان أحسنت فأعينونى .

---

(٥٧) محمد رأفت عثمان . الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام . مطبعة السعادة . ط ٢ . ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م . ص ٨٥ . ٨٦

(٥٨) قريش : ١ — ٤

(٥٩) سعيد اسماعيل على . ديمقراطية التربية الاسلامية ؛ مرجع سابق ؛ ص ١٣٣ ، ١٣٤

وان أسأت فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم . فان عصيت الله فلا طاعة لي عليكم »[٦٠] .

ولقد سار عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفس المنهج واتبع نفس الخطوات وطالب الناس أن يعينوه على الحق وأن يقوموه اذا اعوج فى سلوكه . حينئذ ينهض أعرابى فيقول : « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد سيوفنا » . فينشرح لذلك صدر عمر ويقول : « الحمد لله الذى أوجد فى المسلمين من يقوم عمرا بسيفه » . وعمر نفسه يخطب الناس قائلا : « أيها الناس .. اسمعوا وأطيعوا » فيقف أعرابى ليقول : « لا سمعا ولا طاعة يا عمر » ويستقبل أمير المؤمنين الأمر بالبسمة . فالأمر لا بد يستحق النظر . والا لما تجرأ هذا الأعرابى ليسوق هذا القول . ويسأل عمر : « يا آخا العرب .. لم هذا » ؟ ويرد الأعرابى متهما الخليفة بعدم التوزيع العادل للأقمشة التى تصنع منها الثياب . حيث رأى هذا الأعرابى . ثوب عمر رضى الله عنه فى كفاية . بينما لم تكنه قطعته ليصنع منها ثوبا على قده . حينئذ استدعى الخليفة عمر بن الخطاب ابنه عبد الله طالبا اياه أن يوضح الأمر ، ويجلى القضية ، فقال عبد الله : « انه أعطى حبرته لوالده ليضمها الى حقه . حتى يصنع منهما ثوبا يكفيه ويفصل على قده » . فهدأت نفس الأعرابى ، وقال : « الآن السمع والطاعة يا أمير المؤمنين » . وتلك مواقف تستحق أن نشيد بها ، لأنها جاءت كبرهان قاطع على ما اتسم به المجتمع الاسلامى من حرية فى الرأى بلا بلبلة أو تحريف .

ولقد مثلت الحرية الجماعية أفضل النماذج وأقواها فى أخطر أمر يمس مستقبل الأمة . وهو اختيار الخليفة . يترك الأمر للتشاور ، وابداء الرأى فى حرية كاملة يجتمع المسلمون فى سقيفة بنى ساعدة للتشاور . والقوم كلهم ممثلون فى هذا الاجتماع مهاجرين وأنصارا ، يبدون آراءهم فيمن يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقع اختيارهم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وبمثل ذلك أيضا تسلم عمر وعثمان وعلى الخلافة . جازاهم الله جميعا الخير عن الاسلام والمسلمين[٦١] .

---

(٦٠) مصطفى الرافعى . الاسلام انطلاق لا جمود . دار مكتبة الحياة . ١٩٥٩ م . ص ٤٤

(٦١) محمد رأفت عثمان . الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام ، مرجع سبق ، ص ٨٦ ، ٨٧

والاسلام بهذا المنهج سبق كل النظم والفلسفات . فى توفير مناخ حرية الرأى والارادة . مما لا يبقى معه مقارنة تذكر بأى دين آخر . أو مذهب فلسفى قديما كان أو حديثا • وما كان ذلك لولا الحصانة والسياج اللذين أحاط بهما الاسلام الحرية بما يضمن لها نجاحها ويحقق لها أهدافها فى بناء الفرد المسلم •

٤ ــ **حرية العمل** : أباح الاسلام اتخاذ العمل كحرفة . وللمسلم أن يختار العمل الذى يناسبه فى حدود الأمور المباحة . فيكره مثلا اتخاذ بعض الصناعات المؤدية الى اللهو . كصناعة آلات اللهو وما شابهها . لأنها تفتح ارتكاب المحرمات ؛ وهذا فيه حماية ووقاية • وغير المسلم ممن يقطن فى ديار الاسلام له حرية اختيار العمل فى المجال الذى يناسبه وفى أنواع التجارات التى تتفق مع دينه •

ولقد احترم الاسلام العمل . بل وقرنه بالايمان . « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجــر من أحسن عمــلا** »(٦٢) . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لابنته فاطمة : « يا فاطمة بنت محمد اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » وكان صلى الله عليه وسلم يعمل بيده الشريفة ويتقدم الصحابة فى العمل ؛ ويختار من أنواع العمل ما فضل عنهم . وكان صلوات الله وسلامه عليه . يرقع ثوبه ونعله ويحلب شاته ••• وهكذا •

كما كفل الاســلام حرية الانتقال من بلد الى آخــر من أجل العمل • اللهم الا فى حالات الحرب . فتقتصر هذه الاباحة للمسلم فقط حفاظا على الأمن والنظام(٦٣) •

واختيار المسلم للعمل . يكون وفق رغبته واقتناعه بأنه سيبرز فى هذا المجال وسيفيد غيره من المسلمين . وأى عمل مهما قل فللانسان أن يتخذه حرفة . طالمــا هو يعين ويساهم فى قضاء مصالح الناس ويؤدى الى تيسير أمورهم • والشرط الأساسى هو اتقان العمل والوفاء به على الوجه الأكمل . والخلوص مما قد يوقع فى ارتكاب المحرمات . كالتطفيف فى الكيل وخلافه • قال تعالى : « **ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون •**

---

(٦٢) الكهف : ٣٠

(٦٣) مصطفى الرافعى . الاسلام انطلاق لا جمود . مرجع سابق ؛ ص ٤٩ ، ٥٠

ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم »[٦٤] . أما عن تحديد أوقات العمل فلقد نظمها الاسلام وفقا لهذه القاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » فكل ما يفضى الى ارهاق العامل وحرمانه من الراحة الضرورية أو الاطمئنان على النفس فى الحاضر والآجل لم يقره الاسلام بل حرمه ورفضه .

وعلى النظام الحاكم أن يضع من القوانين ما يفضى الى تطبيق هذه القاعدة فى ضوء تلك الحدود ووفق هذه المقتضيات[٦٥] .

٥ ـ حرية نظم الحكم : جاء القرآن الكريم ونص على وجوب الشورى فى أسس الحكم ، وفى فروعه . قال تعالى فى وصف المؤمنين الصادقين فى ايمانهم : **« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ، والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون »**[٦٦] . وطبقا لهذه الآية على المؤمن أن يتصف بأمور خمسة هى الأساس فى بناء الجماعة الاسلامية :

(أ) الطاعة لله والاستجابة اليه ورفض الاستجابة لغيره ، بمعنى أنه لا يطيع الا فيما فيه طاعة لله تعالى .

(ب) تطهير القلب وتهذيب النفس بالعبادات التى تربى الوجدان ، وعلى رأسها الصلاة .

(جـ) الحكم بالشورى الجامعة لا بالاستبداد المفرق .

(د) التعاون المادى الذى يسد حاجة المسلمين .

(هـ) رفض الظلم ، وعدم الخضوع له ، ودفعه أنى كان وحيث يكون .

والمسلم حقا هو من يجأر بكلمة الحق ، مهما كلفه من عنت . قال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »[٦٧] وهذا هو ما ألمح اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : **« والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون »** . والرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يستغن عن استشارة غيره من الناس ، اللهم الا فيما ينزل عليه فيه وحى ، وقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يعلن على الملأ ذلك . قال تعالى : **« قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى »**[٦٨] وقال : **« ولا أقول لكم عندى**

---

(٦٤) المطففين : ١ ـ ٥

(٦٥) سيد قطب ، معركة الاسلام والرأسمالية ، دار الشروق ، بيروت القاهرة ، ط ٦ ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ٤٦

(٦٦) الشورى : ٣٨ ، ٣٩

(٦٧) سعيد اسماعيل على ، ديمقراطية التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥

(٦٨) فصلت : ٦

خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول انى ملك »(*) ولقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى كثير من أحاديثه : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » و « انما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به . واذا أمرتكم بشيء من رأيى فانما أنا بشر »(٦٩) .

من هذا المنطلق كفل الاسلام الحقوق والواجبات بين المؤمنين فى مساواة تامة . وللمسلم أن يعلن رأيه فى شئون المسلمين التى لا يلتزم الحاكم فيها بشرع الله رب العالمين . بل ومن حقه أن يصبح حاكما . أى خليفة ، طالما تمت له البيعة باجماع المسلمين . وبهذا وفر الاسلام للفرد المسلم أحقيته فى :

أولا : المشاركة فى قيادة الدولة عن طريق اختياره اختيارا حرا من الشعب . أو مشاركته فى اختيار من يرشح نفسه من أبناء الأمة .

ثانيا : حق ابداء الرأى ولو تعلق الامر بنقد الحاكم .

أما أولا : وهو المشاركة فى قيادة الدولة بالحكم أو باختيار الحاكم فان اختيار الحاكم يتم بمبايعة أهل الحل والعقد الممثلين للأمة . أو بانتخابهم . أو باستفتاء عام . والحاكم بهذا يستمد سلطاته من الأمة ، وهو وكيلها فى حراسة الدين وقضاء الشئون السياسية .

ولا غرو أن يكون الحاكم من أى فئة أو أسرة فى المجتمع . طالما توفرت فيه الكفاءة والقدرة على احتمال تكاليف الحكم والقيام بأعبائه . وبهذا فمن حق أى فرد فى الأمة أن يتقدم لشغل هذا المنصب ومن حق أى فرد آخر أن يقبله أو يرفضه . واذا تم الاختيار فلا مجال لأحد أن ينقض ما أجمع عليه الرأى العام . وعلى الحاكم ألا يقضى فى أمر دون أن يأخذ رأى الأمة . لأن الأمة أوكلت اليه التصرف فى شئونها . فلا يجوز التصرف دون رغبة الموكل ووفق ارادته . التى هى أصلا تأتى موافقة للدين . والخليفة (الحاكم) يقتدى فى ذلك بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه . قال تعالى : **« وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك »(٧٠)** والحاكم ملتزم فى الحكم بما أنزل الله . والرجوع الى الأمة فيما يجد من أمور لا نص فيها من كتاب أو سنة . اقتداء بما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(*) هود : ٣١

(٦٩) المرجع السابق ص ١٢٦ ، ١٢٧

(٧٠) المائدة : ٤٩

ولا يفوتنا أن نذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم يختص فى كونه يوحى اليه من عند الله . أما الحاكم فن الأمة هى التى اختارته نائبا عنها فى القضاء وسياسة أمور الدولة[٧١] .

أما ثانيا : وهو حق ابداء الرأى ولو تعلق بنقد الحاكم . فان الشواهد على ممارسة المسلم لهذا الحق كثيرة . فلقد وقفت امرأة أثناء خطبة عمر رضى الله عنه حين خطب المسلمين يناديهم بتخفيض المهور . قالت امرأة : « أيعطينا الله وتحرمنا أنت يا عمر » ؟ وقرأت قوله تعالى : « **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** »[٧٢] حينئذ أجابها أمير المؤمنين : « أصابت المرأة وأخطأ عمر » . وقال عثمان رضى الله عنه : « أمرى لأمركم تبع » .

بهذا اختط الاسلام منهج التكامل لنظام الحكم فى الدولة . سواء الحاكم أو المحكوم . وهذا بلا شك يضمن تحقيق العدالة الاجتماعية ويوفر الخير والسعادة لأبناء المجتمع دون تمايز أو خصوصيات .

٦ ـ **حرية الوجدان** : لا شك أن تحقيق التكامل فى شخصية الانسان . داخله وخارجه . ظاهره وباطنه . هدف أسمى من أهداف الاسلام . لأن المسلم لا يكون منقادا وراء شهواته . أو تواقا الى ممارسة أعمال تغضب الله رب العالمين . بل ينبغى أن يعبد الله سبحانه وتعالى كأنه يراه فان لم يكن العبد يرى ربه فان الله مطلع عليه . ويرى جميع أفعاله وأقواله . والاسلام يطلق للانسان لممارسة للمباحات فى حدود ما شرعه الله تعالى لأن ذلك يتوافق مع متطلبات النفس البشرية . ويتواكب مع احتياجاتها . وهذ بدوره يكفل السعادة والراحة النفسية والفوز فى الدار الآخرة . وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أى الناس أفضل ؟ قال : « أتقاهم » قيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « يوسف نبى الله . ابن يعقوب نبى الله . ابن اسحاق نبى الله . ابن ابراهيم خليل الله » . فقيل له : ليس عن هذا نسألك . فقال : « عن معادن العرب تسألونى ؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا

---

(٧١) السيد سابق ، عناصر القوة فى الاسلام . مرجع سابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٧٢) النساء : ٢٠

فقهوا »[٧٤] . وجاء فى القرآن الكريم : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** »[٧٥] . وفى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى . ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود . الا بالتقوى . كلكم لادم . وآدم من تراب »[٧٥] .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى أذهب عنكم عبية (العبية : الكبر) الجاهلية وفخرها بالآباء . الناس رجلان : مؤمن تقى . وفاجر شقى » .

فمن كان من هذه الأصناف اتقى الله فهو أكرم عند الله . وبهذا دل الكتاب والسنة على مبدأ المساواة وأن أكرم الناس عند الله أتقاهم[٧٦] ولما كانت المفاضلة بين الناس تتم بالتقوى . فان الاسلام وضع من الفرائض والعبادات ما يربى فى الفرد الجانب الروحى والوجدانى . وكانت فرائض الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر والدعاء بمثابة الروابط التى تربط المؤمن بخالقه . تشعره أن الله سبحانه وتعالى معه . يعينه وينصره . فلا خوف ولا هلع . ولا يأس ولا قنوط . بل اطمئنان وثقة فى الله رب العالمين لأن الله سبحانه وتعالى قريب من عبده . قال تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** »[٧٧] .

وهذا جميعه يحيى داخل المؤمن حب الخير . وصحوة الضمير . حتى يستطيع مواجهة الحياة بكل ما فيها من واقع لا غنى للانسان عنه .

والاسلام فى كل هذا يعترف بمتطلبات الطبيعة الانسانية يستثيرها ويعلى من قدراتها وطاقاتها من أجل التحرر الوجدانى الكامل والصريح .

« وهكذا يأخذ الاسلام الأمر من وجوهه كلها . من مناحيه جميعا ؛

---

(٧٣) رواه البخارى ومسلم . (٧٤) الحجرات : ١٣

(٧٥) رواه أحمد فى « المسند » عن أبى نضرة . وقال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح .

(٧٦) ابن تيمية ؛ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . المكتب الاسلامى ؛ بيروت . ط ٢ . ١٣٩٠ هـ ؛ ص ٤٢ . ٤٣

(٧٧) البقرة : ١٨٦

فيكفل التحرر الوجدانى تحررا مطلقا لا يقوم على المعنويات وحدها ولا على الاقتصاديات وحدها ولكن يقوم عليها جميعا . فيعرف للحياة واقعها . ولنفس طاقاتها . ويستثير فى الطبيعة البشرية غاية أشواقها وأعلى طاقاتها ويدفع بها الى التحرر الوجدانى كاملا صريحا . فبغير التحرر الكامل لن تقوى على عوامل الضعف والخضوع والعبودية ولن تطلب نصيبها من العدالة الاجتماعية ولن تصبر على تكاليف العدالة حين تعطاها »(٧٨) .

* * *

ثانيا ــ التطبيق التربوى للحرية من وجهة النظر الفلسفية :

(١) كلمة حول مفهوم الديمقراطية :

ما دمنا سنتعرض بالمناقشة لفكرة الديمقراطية . كاطار عام تتحرك فيه التربية . فلا بد أن نلقى فكرة عن نشأة مفهوم الديمقراطية . والكلمة نفسها قديمة . استخدمها الاغريق القدامى لأول مرة فى القرن الخامس قبل الميلاد . كما أنها اصطلاح يونانى ذو لفظين : « ديموس » أى الشعب و « كراتوس » أى السلطة .

وكلمة الديمقراطية وردت لاول مرة فى التاريخ فى كتاب « تاريخ حرب البيلوبونيز » للمؤرخ اليونانى توسيدس (٤٦٠ ــ ٤٠٠ قبل الميلاد) . وقد كشف هذا الكتب ببراعة عن معنى الديمقراطية فى ذهن مفكرى أثينا والتى تتضمن العبارات التالية : « مواطنون أحرار فى بلد حر . وحكومة اتجاهاتها كاتجاهات القانون المحايد لأنه صواب وحق . وحرية المواطن هى حقه فى التقدير والمناقشة والمساهمة وفقا لكفايته الذاتية ومواهبه . لا لثروته أو طبقته الاجتماعية . وكان الهدف من ذلك كله تحقيق حياة مشتركة واتاحة فرصة المران لمواهب الافراد وملكاتهم . وأن تحيا الجماعة حياة متحضرة تقوم على أساس من الرفاهية المادية والفن والدين وحرية التقدم الفكرى . وأفضل ما فى هذه الحياة المشتركة بالنسبة الى الفرد هو قدراته على الانتاج المثمر وحريته فى ذلك الانتاج . وأن يشعل مكانا ولو كان متواضعا فى هذه المهمة السياسية المشتركة وهى حكم المدينة الاغريقية »(٧٩) .

---

(٧٨) سيد قطب . العدالة الاجتماعية فى الاسلام . مطبعة عيسى البابى الحلبى . ط ٦ . ١٩٦٤ م . ص ٥٠ ؛ ٥١

(٧٩) سعيد اسماعيل على . ديمقراطية التربية الاسلامية . مرجع أسبق ؛ ص ٣ ــ ٥

(ب) التربية بين الالتزام والديمقراطية :

الحرية فى المجال التربوى معناها : « اتاحة أكبر مجموعة ممكنة من الخبرات أمام الفـرد ؛ ليتسنى له بالتالى اختيـار الخبرة المتناسبة واستعداداته الجسمية والنفسية • والحرية أيضا فى المجال التعليمى هى حق ممارسة الخبرات المكتسبة فى المختبر والعائلة والمجتمع ••• والحرية فى مجالات البحث هى توفير امكانيات البحث النظرى والتطبيقى •• الخ •

اذن فنحن ازاء مجموعة من المحددات للحرية على أنها : اتاحة الفرص . الاختيار ؛ حق الممارسة ؛ توفر الامكانيات ••• وبذا تتوفر أمامنا منهجية متكاملة تضم الجانب النظرى الى العملى فى مقولة قيض لها أن تشغل ذهن المفكرين منذ انبلاج تاريخ الفكر الانسانى . كما قيض لها أن يكون الدم هو ثمن ممارستها . وطريق الحصول عليها »(٨٠) •

واذا كانت التربية تهدف الى تحقيق الحرية لفرد موجه لنفسه يتحرك تلقائيا . واذا كان المثل الأعلى للتربية هو الاستمرار فى الالهام الذاتى . الذى يتعلم الشخص الناضج كيف يوجهه . اذا كان ذلك كذلك فان تحقيق هذا الهـدف يقوم أصلا فى سنوات الطفولة المبكرة على أسلوب التلقين •

والتربية يجب أن تتضمن التلقين فى برامجها . وهو الالتزام بكل ما تقـرره المؤسسات التربوية فى الأسرة وفى المدرسة . كما تتضمن الديمقراطية ؛ والقدر الصحيح لكل منهما هو دالة لمستوى النضج للمتعلم ومنح الفرد الاستقلال قبل أن تتشكل ذاته تشكيلا محددا يؤدى الى الشعور بعدم الملاءمة مما قد يؤدى الى كفاح طيلة الحياة من أجل تحقيق الأمن والطمأنينة •

كما أن اطالة مدة التلقين والاتكال يهدم روح المبادأة والابتكارية ويكون شعورا بالاحباط ؛ وغضبا يؤدى الى أشكال هدامة من السلوك •

وعلى أية حال فالطفل الصغير لا يسمح له بأى صورة أن يحكم نفسه ؛ بل يجب أن تفرض عليه تحديدات وتحكمات حتى يصبح ذاتا محددة لها طابع وظيفى تستطيع أن تصل الى قرارات مؤدية الى نمو متسق وانسجام مناسب مع البيئة الاجتماعية والمـادية •

---

(٨٠) جميل م. منيمنة ؛ مشكلة الحرية فى الاسلام ؛ المشكلة الاجتماعية مرجع سابق ص ١٣٢

لذلك فمراحل النمو الأولى يجب أن تتضمن قدرا معقولا من التحديد وراء الذات . يتوقف عليه نوع الذات التى ستواجه الحياة فيما بعد .

وقد يبدو أن الحرية والتربية متعارضتان . خصوصا فى المراحل الأولى للنمو وفى حالات الأطفال غير الناضجين . فى هذه المرحلة يتحكم المدرس أو الأب فى السلوك تحكما كاملا . وقد يؤخذ الطفل من الشارع . أو يطلب منه ضد رغبته أن يذهب الى النوم بدلا من أن يبقى مع الكبار . وحتى فى حالات الناضجين ومع امكانية منحهم استقلالا أكبر . فالتعارض وارد أيضا حيث ان السلوك يتحدد ولو على الأقل من الخارج .

والصواب أنه لا تعارض بين الحرية والتربية لأن التربية تكون عديمة الفائدة اذا لم تحدث تغييرات فى السلوك وهى فى جوهرها تفترض ارتباطا وتأثيرا متبادلا بين الأفراد وعندما يوجه فرد نمو فرد آخر فانه يضع حدودا لنشاط الآخر . ويمارس تأثيرا فى سلوكه[٨١] . وهناك طرفان يتجاذبان الحرية : أما الأول فهو الحتمية بمعنى أن سلوك الانسان يتحدد كلية بالظروف السابقة . وما يحدث لا بد أن يحدث والحقائق هى الحقائق وهى ليست أفضل أو أسوأ .

والتربية من هذه الزاوية جزء من الحياة فى هذا التتابع الحتمى ؛ كما أنها ليست وسيلة لتطوير الحياة الانسانية . سوى كونها طريقة للتحدث عن الاتجاهات العاطفية نحو مجرى الأحداث الحتمى .

وبهذا فالحتمية تهدم الباعث على المخاطرة الخلاقة وتؤدى الى روح من التسليم بقدر محتوم . وهى بذلك تهدم الدوافع وتبعثر المجهود التربوى . ويمكن أن نطلق على هذا الاتجاه الالتزام والجبر .

أما الطرف الثانى الذى يتجاذب الحرية : فهو الانطلاق (الديمقراطية) وصاحب هذا الرأى ينظر الى المستقبل على أنه مفتوح . والتربية طريقة لتقديم البديلات الحقيقية وتقديم أفضل الطرق مقارنة بضدها . والهدف من هذا الرأى هو المساعدة على تحديد القرار النهائى فى هذه الناحية أو تلك . والنتيجة فى يد من يختار فقد يختار الأسوأ لا الأفضل مهما كان اغراء الآخر .

---

(٨١) فيليب هـ. فينكس . فلسفة التربية ؛ ترجمة محمد لبيب النجيحى مرجع اسبق ؛ ص ٤٢٢ ، ٤٢٣

وهذا الرأى يسهم فى أن يجعل الفرد من حياته شيئا مذكورا . ويمكن أن يواجه المستقبل . ولن يكون كذلك اذا ما تحدد المستقبل من الآن • والتربية بذلك عليها تقديم البديلات الحاضرة التى يستطيع الفرد أن يختار من بينها • والمربى الذى يخدم الحرية الانسانية تكون عليه مسئولية محددة لعرض طرق معينة للحياة يعتقد بصفة خاصة أنهـا تستحق الاختيار • وهو يعرضها للنظر والاعتبار •

وبهذا فالمربى بما يبذله من جهد لا يستطيع أن يحدد تماما حياة أولئك الذين يعمل على توجيههم[٨٢] •

والتربية بطرفيها : الحتمية أو الانطلاق ، لا بد أن تتضمن المستقبل كما تتضمن المـاضى . فالفرد يكون حرا اذا استطاعت أهدافه الخاصة بالمستقبل أن تحدد سلوكه •

وفى هذا الاطار فقيام المعلم بتقديم برامج عمل أفضل قد يصبح جزءا من تصور المتعلم لامكانيات المستقبل والتربية تتجه بالضرورة نحو المستقبل . وتعنى بما يصبح عليه الأفراد •

بيد أن التحديد اذا كان على أساس المـاضى فقط ، لم تصبح التربية سوى تمثيلا لمـا كتب فعلا بمعنى أنها تكون تراثا • وأما اذا استطاعت الأهداف أن ترسم طريق الحياة فالتربية تحول ما كان مثالا ونظريا قبل ذلك الى حقيقة عملية •

وبهذا تحتاج التربية الصحيحة الى النظر فى التأثيرات المـاضية ، وأيضا فى الأغراض المستقبلية لأن الاعتماد على المـاضى فقط (الأسباب الفعالة) يؤدى الى نظرة مؤداها أن المربى يشكل الفرد مثلما النحات الذى ينتج التمثال بالشكل المطلوب • ان اشراك الأغراض المستقبلية (فكرة الأسباب النهائية) مع التأثيرات المـاضية تترك مكانا للترغيب وتقديم بديلات ممكنة مع اتاحة الفرصة للمتعلم ليستجيب لهذه الأهداف التى تستحق ــ بالنسبة له ــ التحقيق فى المستقبل[٨٣] •

والفرد لكى يكون حرا فى تحقيق أهدافه ، لا بد وأن تتوفر له عوامل ثلاث : مادية . اجتماعية . ثقافية •

أما الجانب المـادى . فالفرد لا يستطيع أن يكون حرا مع عدم وجود المصادر المـادية ، فالناس الذين يكونون على مستوى الكفاف

---

(٨٢) المرجع السابق ، ص ٤١٨

(٨٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥

المـــادى . يكونون أكثر استجابة فى العادة الى الوعد بالتحسن الاقتصادى منهم لأنواع الحرية غير المحسوسة . مثل حق اختيار المهنة . وحق التصويت . فاذا توفرت السلع الضرورية للحياة أتيح للفرد الفرصة لتحقيق أهداف متنوعة .

ومن هنا فالتسهيلات المـــادية مثل المنازل والمبانى المدرسية والكتب والمعدات المعملية تساعد الأشخاص الذين هم فى مرحلة نمو . تساعدهم بما لديهم من حرية على تحقيق الامكانات العالية من الأهداف .

كما أن هذه التسهيلات المـــادية لا تحقق التربية من أجل الحرية فحسب ولكن هى بدورها أساسية لتأكيد الصالح المـــادى . وتحقيق توزيع عادل واستخدام انسانى منـــاسب للمصالح المـــادية بواسطة السيطرة على البيئة المـــادية وأساليب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصـــادية .

أما الدعم الاجتماعى . فهو ضرورى . لتحقيق الحرية للفرد . وليس معنى هذا أن الأنبياء والشهداء الذين يقفون ضد خبرات المجتمع ليسوا بدون حرية ؛ اذ أنهم مع ذلك أقل حرية فى تحقيق أهدافهم مما لو أن المجتمع ساندهم بدلا من أن يعارضهم . وهذا شأن الداعين للاصلاح والتجديد يدينون للمجتمع باعطائه الأساس الذى يعارض منه .

وتحتل الأسرة الأهمية الأولى فى الدعم الاجتماعى كما تأتى الرعاية المستمرة للطفل من الآباء والمدرسين والأصدقاء ؛ عوامل أساسية فى منح الطفل القدرة على الانجاز . ولا يستطيع فرد أن ينجز عملا وحده ما لم تقدم له الموارد الأساسية والمعونة الانسانية الضرورية .

وأما الموارد الثقافية فيتوقف عليها تحقيق الأهـــداف . والدعم الثقافى . يعنى المعونة التى يتلقاها العالم من النتائج المتراكمة للابتكار الانسانى مع الأخذ فى الاعتبار أهمية حماية القانون وتشجيع الزملاء .

ويرى بعض المربين أن فرض ثقافة المـــاضى . فيه استعباد للطفل مما يكسبه العجز وعدم القدرة . والصحيح هو أن نربى الطفل ليكتشف عالمه ويساهم فى تطوره وبعثه . والانسان مهما أوتى من ابتكار وذكاء يستحيل عليه أن يبدأ من جديد ويستعيد خبرات الجنس البشرى الشـــاق .

ومن هنا فالتربية الحرة الحقيقية هى التى تستثمر المعرفة البشرية بخبراتها التراكمية . وهذا ليس معناه أن التربية يجب أن تخصص فقط للسيطرة على مجموعة من التقاليد الميتة بل الأوفق هو أن هذا التراث

يجب أن يكون مصدرا حيا يستثمره الأفراد لتحقيق أهدافهم • والتربية الحرية بذلك : هى التى تتضمن تدريبا واسعا متنوعا فى التراث الثقافى[٨٤] •

ويضاف الى الجانب المادى والاجتماعى والثقافى فى تكوين الفرد الحر . يضاف اليه تمتع هذا الفرد بقدر مناسب من الصحة والقوة البدنية . وكذلك لابد أن يكون على قدر من القوة العاطفية والعقلية . والعادات الجيدة . والتوازن . والائتلاف بين الدوافع الجسمية وسائر المكونات الأخرى للكائن الحى مثل الذكاء والشعور والعاطفة والعقل وغيرها •

وكلما توفرت للشخصية اتجاهات صحيحة فى تكوين العادات واتسعت اتجاهات الآباء فى الأسرة وتكاملت مع اتجاهات المدرسين والأصدقاء فى نمط واحد . يمكن حينئذ ضمان نمو الشخصية المتكاملة فى محتوى اجتماعى موحد •

(ج) وظيفة المدرسة بين الالتزام والحرية :

عملية الالتزام والتوجيه ؛ تطرح قضية تربوية ؛ هى قضية التلقين ؛ وهى عملية ساءت سمعتها فى عالم التربية ؛ وهاجمها كثير من فلاسفة التربية . خاصة فى البلاد الديمقراطية لأنها لا تتناسب مع المفهوم الديمقراطى •

ويقصد بالتلقين أن تفرض المدرسة على التلاميذ وجهات نظر آتية من جهة الجماعة أو السلطة التى تحكم الجماعة . أو أية منظمة داخل اطار الجماعة • هؤلاء الفلاسفة هاجموا فكرة أن المدرسة تفرض على التلاميذ وجهة نظر معينة ؛ أو تقنعهم بها ؛ وانما الخير فى نظرهم ؛ هو أن توصف الأشياء وتوضح وتذكر عنها الجوانب السلبية والايجابية على حد سواء ؛ ثم بعد ذلك نترك للتلميذ حرية اختيار ما يقتنع به عقله • بمعنى آخر ؛ فوظيفة المدرسة أن تعلم التلميذ كيف يفكر ؛ وتمده بمادة التفكير ؛ ولكنها لا تعلمه ماذا يفكر • وبالرغم من ذلك وجد هؤلاء المربين أن الالتزام بوجهة نظرهم يتعارض مع فكرة الديمقراطية ذاتها ؛ لذلك اضطروا الى الاعتراف أن تلقين الاعتقاد فى مذهبهم الديمقراطى أمرا ممكنا ولازما • وبعبارة أخرى فانهم وان كانوا فلسفيا عارضوا

---

(٨٤) المرجع السابق ؛ ص ٤٢٨ — ٤٣١

فكرة وجود قيمة مطلقة يصح تلقينها الا أنهم اعتبروا الديمقراطية فى بلادهم قيمة مطلقة واستثنوها من الحكم .

والغرض والهدف النهائى من كراهية مبدأ التلقين فى التعليم ، هو عدم اغلاق باب الاجتهاد الفكرى أمام التلاميذ ، واعطائهم الفرصة لأن يفكروا بأنفسهم وفى نفس الوقت فأيديولوجية الجماعة وفلسفتها وشكلها أمور لا يمكن أن يختلف عليها أو يفتح باب الاجتهـاد فيها ، والا أصيبت كل المجتمعات بعدم الاستقرار .

وهذا يجيب على التناقض الظاهر بين التزام التربية وبين كراهية مبدأ التلقين الذى أشرنا اليه آنفا .

ومن هنا يصح من هذه الوجهة أن تنقح فلسفة المجتمع وأن تهذب وتعمق وتخلص من تناقضاتها . وأن ينتقل فيها من وجه الى وجه ، ولكن من غير الجائز أن تكون فلسفة الجماعة وشكلها موضع تغيير وثيق أو جذرى .

وعلى هذا فكراهية مبدأ التلقين فى التربية أمر نسبى . فيباح فى كل ما هو أساسى لتقرير شكل الجماعة وأبعادها وفلسفتها ولا يباح فى غير ذلك . أو بمعنى آخر فالتلقين أمر مباح اذا كان يتعلق بكون الجماعة وأيديولوجيتها التى أصبحت أمرا مقررا عند المجتمع .

وعن فتح باب التفكير أمام التلاميذ هناك مجال كبير فى اطار الأيديولوجية بحيث يمكن عرض بعض المشكلات والتناقضات الاجتماعية تطرح أمام التلاميذ ويعطون حقائقها وسلبياتها وايجابياتها ثم يتركون لتشكيل آرائهم نحوها فيمـا يتعلق بالحلول معتمـدين على عقولهم وتفكيرهم . وبذلك يصبح التلميذ جزءا من فلسفة جماعية ويفتح أمامه باب التفكير والاجتهاد ، وباب كسب المهارة المتعلقة بموازنة القضايا وتكوين الأحكام .

والمدرسة عليها أن تطرح المشكلة أمام التلاميذ ـ مشكلة البطالة ـ مشكلة المواصـلات ، مشكلة الاسكان ... الخ . وتزودهم بحقائقها وأخطارها ، ثم تترك لهم بعد ذلك الحرية فى التفكير ازاء حل هـذه المشكلة . والتربية بذلك تقوم بما هو مطلوب منها من حيث أنها قوى موجهة ملتزمة ، وفى نفس الوقت يمكن للتلميذ أن يكتسب القدرة على التفكير فى القضايا الاجتماعية ويكتسب الاتجاه العقلى نحو الشعور بمسئوليته نحو المساهمة فى حل مشكلات الجماعة .

ويمكن القول : ان التلقين يباح فيما يتعلق بتطوير الجماعة ؛ وتهذيب المجتمع وتنقيته من التناقضات . ولكنه لا يبـاح فى فلسفة الجماعة وأيديولوجيتها وشكلها وأساسياتها .

فلا يباح تلقين بعض الآراء فى مواجهة بعض مشكلات اجتماعية بل تعرض المشكلات دون مساس باتجاهات معينة أو حلول مقصودة . ويترك للتلميذ حرية الاختيار بين البديلات للحل .

والخلاصة أن التلميذ فى ظل هذا التوفيق بين التلقين وكراهيته تتاح له فرصة الاقتناع بأيديولوجية الجماعة وفلسفتها ؛ وأيضا التمكين من القدرة على التفكير واكتساب المهـارة فى مواجهة المشـكلات فى المجتمـع .

والسؤال الذى يطرح نفسه : هل النزاع بين التربية وحق المجتمع فى توجيهها يتعارض مع حق الحرية الواجب لكل صاحب فكر ؟

واذا كانت الحرية الفكرية من مستلزمات المعلم فهل قضية الالتزام وحتمية التلقين تتعارض مع حق المعلم فى الحرية الفكرية والأكاديمية للمدرسة والمعلم ؟

الواقع أن الاجابة بالنفى . لأن الحرية المطلقة لا وجود لها . وكل حرية يجب أن تكون محـدودة باطار معين تفرضه طبيعة الجمـاعة أو أهدافها أو قيمها . فالحرية المطلقة فوضى . والمعلم والتلميذ يفكران بكامل حريتهما ؛ ولكن فى اطار ما تتفق عليه الجماعة وما تتواضع عليه من الفلسفات والقيم والأهداف .

وفى اطار مقومات الجماعة ومقدساتها . هناك مجال واسع للحرية المنظمة . وحرية امتزاج الحلول ؛ وحرية اصدار الاحكام . دون أن يخرج المعلم من جلده أو يستعد على الجماعة وينقدها . كما لو كان شخصا غير مشترك فيما تواضعت عليه من قيم وفلسفات .

بل ان هذا الاطار الفلسفى الاجتماعى القومى الذى يبدو وكأنه محدد لحرية الفكر كأن هذا الاطار الفلسفى نفسه أداة من أكثر أدواتها ضرورة . وذلك لأن العالم لا يستطيع أن يفكر الا فى اطار حدود القوانين العلمية . فاذا وضع حلولا لمشكلات المـادة تتعارض مع قوانين العلم ؛ كانت حلولا خاطئة لا قيمة لها .

والمعلم الذى ينتمى الى العلوم الاجتماعية ؛ لا يستطيع أن يفكر فى المشكلات والقضايا الاجتمـاعية والقومية الا محددا باطار ثابت

وواضح . لا تهاون فيه كالقوانين العلمية تماما . وهو اطار أيديولوجية الجماعة وفلسفتها .

وهذا الاطار المحدد للحرية هو اطار مرجعى ضرورى لاستقامة عملية التفكير واستقامة حرية الفكر .

ومن هنا يستطيع الانسان أن يتقيد بفلسفة الجماعة فى تعليمه وتفكيره دون أن ينتقص ذلك من حريته أو من شعوره بهذه الحرية تماما كالعالم الطبيعى وهو يفكر فى مشكلات المادة مقيدا باطار قوانين العلم الطبيعى .

هذا فى ايجاز هو موقف التربية بين الالتزام والديمقراطية فى الفكر المعاصر . فماذا عن التربية والحرية من وجهة النظر الاسلامية ؟

لعل هذا ما سوف نحاول الاجابة عليه فى الصفحات الآتية .

* * *

ثالثا ــ التطبيق التربوى للحرية من وجهة النظر الاسلامية :

المسميات والمفاهيم فى الحرية تشمل : « حرية العقيدة ، حرية التفكير ، حرية الرأى ، حرية العمل . حرية نظم الحكم ، وحرية الوجدان » يجمعها كلها الحرية الشخصية ، فكون الشخص حرا ، معناه : حرية مطلقة تشمل الشخص كله فى داخله وخارجه ، فى علاقاته مع أسرته ومع الجماعة التى ينتمى اليها ومع المجتمع الكبير الذى ينتسب اليه ، فطالما الانسان حر فى كل هذا ، فقد تخلص من عبوديته لكائن ما من الكائنات ، بل وملك زمام أمره ، وأصبح حرا طليقا فى داخله وخارجه . والاسلام جعل حرية الفرد المتكاملة ، هدفا أساسيا ، ونعى على المتخاذلين المستسلمين المستضعفين الذين يقبلون الذل والهوان . قال تعالى : **« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا »**(٨٥) .

ولهذا كان الاسلام سباقا الى اتاحة الفرصة أمام المسلم ليخلص نفسه من الاستعباد ولو كان على حساب هجر الديار وترك الوطن ، والعيش فى آخر الدنيا طالما هو يبتغى عيشا كريما وحياة حرة سعيدة .

من هنا أوجب الاسلام على المسلم أن ينصر الحق ، ويجاهد فى

---

(٨٥) النساء : ٩٧

سبيل نصرة المستضعفين . قال تعالى : « **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** »(٨٦) .

(١) موقف الاسلام من الديمقراطية :

قد يجول بذهن البعض . ممن جرفتهم المدنية الحديثة . من ضعاف النفوس من المسلمين . قد يجول بأذهانهم ان الاسلام قد خلا من الديمقراطيه وأنه مفتقد الى مثل تلك المذاهب السياسيه حتى تنصلح المجتمعات الاسلاميه . وأمام هذه الشرذمة يتعاظم صرح الاسلام . شامخا . عاليا . شاهدا على امتلاك الاسلام ناصيه العدالة . ممثله فى تعبير المسلم عن رأيه واعلانه عن حجته فى حرية تامة . حتى ولو كان ذلك يتعلق بالحاكم نفسه وهذه بلا شك قمة الديمقراطية .

وكما سبق أن ألمحنا فالديمقراطية عبارة عن جعل الشعب هو مصدر السلطة فى اختيار الحاكم . وفى مناقشة الأمور السياسية وما يتعلق بذلك . وتلك صورة قد تبدو جيدة ؛ غير أنها عند التحليل تبدو خيالية بعيدة عن الواقع الذى يشهد باصطدام هذا المذهب بمبادىء الاسلام القائم على أن الله سبحانه وتعالى هو المشرع الاول وأن الحكم لله رب العالمين .

أما الديمقراطية فتقوم على أن « الشعب هو مصدر السلطة بجميع أنواعها من تشريعات قضائية وتنفيذية » وأول ما يصدم هذا المبدأ ما تقرر فى الشرع الاسلامى من أنه لا حكم الا لله ؛ فالمشرع فى جميع الأحوال هو الله عز وجل على لسان رسوله المبلغ عنه كما جاء فى الايه الكريمة : « **ان الحكم الا لله** »(٨٧) ولذلك كان مبدأ جعل الشعب هو مصدر السلطات لا يتفق مع مبادىء الشريعة الاسلامية فلا يباح لأى مسلم يدين بالاسلام فضلا عن جماعة ؛ أن يشرع أو يصوغ القوانين والتشريعات والأنظمة من وحى النفس والهوى ؛ لأن كل القوانين السياسية وغيرها موجودة ومتضمنة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله

---

(٨٦) النساء : ٧٥

(٨٧) عبد الله كنون . اسلام رائد . دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ١٩٧٩ م ، ص ٦٩ ـــ والآية من سورة الأنعام : ٥٧

عليه وسلم ، وعلى المسلمين أن يتفهموها وأن يطبقوها دون تحريف أو تعـديل .

ولعل حكم الشعب نفسه والمفروض فيه أنه يعنى اجماعا شعبيا . لعل ذلك لا يحظى باعتراف كامل مائة فى المـائة من الافراد . لأن هذا أمرا يكاد يكون مستحيلا بل أصبح لا يعدو حكم الاغلبيه وهى اغلبية نسبية يستحوذ عليها الحزب القوى فى الحكومة .

هذا فى الوقت الذى تمارس بقية الأحزاب والتنظيمات معارضة للتنظيم الحاصل على الأغلبية . وتظل خارج الحكم . « ثم ان هناك قطاعات كثيرة من الشعب لا تنتمى لأى من الاحزاب . كلهم خارج الحكم . فكيف يمكن القول ان هذا حكم الشعب ولو بالأغلبية »[٨٨] ؟

والواقع والمشاهد أن تلك الديمقراطية المزيفة قد أخفقت فى تلبية رغبات الأمم والشعوب سواء المـادية أو الاقتصادية أو السياسية . ولقد أدى هذا بدوره الى النقـد الكبير الموجه الى تلك الديمقراطية الزائفـة .

ولقد ظهر كثير من التناقضات بين طبقات المجتمع . حيث استحكمت الأنانية لطبقة استولت على المـال وتوسعت على حساب طبقات أخرى . كما ظهر تشقق بين الطبقـات العمـالية مما أدى الى عجـز النظام الديمقراطى واخفاقه فى مواجهة التخلف وتحقيق انسانية الانسان[٨٩] .

فى ضوء ما سبق ، يمكن القول ان الديمقراطية ، وسيلة من وسائل تلهيةالشعوب وشغلها من أجل استبداد جماعة ما بالحكم ، دون تحقيق القدر الكافى من الحرية فى هذا النظام . والديمقراطية فى عالمنا الحالى ، غدت مصطلحا خاليا من المضمون والجوهر . أما الاسلام فان الكتاب والسنة المطهرة قد ضمنا تحقيق الحرية الحقيقية ذات الجوهر والمضمون والمحتوى . واستطاع هذا النظام أن يحقق فضائل النفس البشرية من الحق والعدل والخير والسلام . ولا شك أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت خير مثال على تحقيق الديمقراطية الصحيحة الخالية من الخدع واللامبالاة .

ولقد سلك الخلفاء الراشدون نفس المنهج بعد رسول الله صلى الله

---

(٨٨) المرجع السابق ، ص ٧١ ، ٧٢

(٨٩) يوسف القرضاوى . الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٥٣

عليه وسلم ، فلقد أوصى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أسامة بن زيد حين أنفذه على جيش المسلمين الى الشام قائلا : « لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تغـدروا ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمـأكلة ؛ وسوف تمرون بأقوام حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له » .

وكذلك كان شأن عمر رضى الله عنه ؛ الذى لم يدخر وسعا فى هذا الباب والذى كان يقول فى وصاياه لمن يستعمله على ولاية : « انى لم أستعملكم على أمة محمد ولا على أعشارهم انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل » .

ولم يتهاون عمر رضى الله عنه أن يقتص من الوالى ان هو قصر فى أمر من أمور الرعية ؛ ولو قل هذا التقصير . يدعو عمر الرعية لتقتص من هذا الأمير ؛ أو نقله الى منصب آخر أو عزله نهائيا[٩٠] .

ومن هنا فان الاسلام بنظامه أكد على أحقية الشعب فى أن يصون كرامته فى ظل التشريع الالهى البعيد عن الشبهات والأباطيل . هذا ولقد « حرص الاسلام حرصا شديدا على الحرية بمعانيها المختلفة حرصا يوفر للتعليم مناخا صحيا لا مناص منه اذا أردنا له نموا وازدهارا . والاسلام فى هذا قد سبق كثيرا من المذاهب والشرائع سبقا غير عادى . ذلك أن الحرية فى الاسلام ــ خلافا للشرائع الوضعية ــ ليست حكما سياسيا فحسب ــ وليست جزءا من شريعة الاسلام . وانما هى فى الحقيقة جزء من عقيدة الاسلام . ففى اللحظة التى يقرر الاسلام فيها وحدانية الله . ويطالب الأفراد بألا تذل جباههم الا للخالق قيوم السموات والأرض .. هو يحررهم من العبودية لأى مخلوق ولأى فكرة ولأى جمـاعة »[٩١] .

---

(٩٠) مصطفى الرافعى ، الاسلام انطلاق لا جمود . مرجع سابق ، ص ٧٩ ــ ٨١

(٩١) سعيد اسماعيل على . ديمقراطية التربية الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ ، ١٣٣

(ب) أسلوب الاسلام فى تربية الفرد المسلم الحر :

واذا كانت التربية فى ظـل الديمقراطية . تدعى اتاحة الفرصة للمتعلم . كى ينمو فكره وتتحقق ذاته . فان الاسلام سبق الى ذلك بل ان الأخبار تروى « أن ابن عباس خالف مشاهير الاسلام فى الرأى وهم عمر وعلى وزيد بن ثابت وكانوا أساتذته كما اختلف الامام مالك مع اغلب أساتذته ثم خالفه فى الرأى كثير من تلاميذه .

ومن أظهر أساليب التعليم فى المراحل العالية . شيوع طريقة المناظرة . ويمكننا أن نقول استنادا على كثرة ما ذكر عن المناظرة فى المراجع الاسلامية أنها من أخص مميزات التربية فى تلك العصور . ولقد وقف المسلمون على اهمية المناظرة فى شحد الذهن وتقوية الحجة وانطلاق البيان والتفوق على الأقران وتعويد الثقة بالنفس فاولوها عناية كبرى فى طرق تعليمهم واشاروا اليهـا فى مواضع عـدة من مؤلفـاتهم »[٩٢] .

ولقد ناظر الغزالى مشاهير العلماء وفادتهم وهو فى بغداد فى معسكر الوزير نظام الملك ، وحاجهم وانتصر عليهم جميعا .

« ويصف السبكى اسماعيل بن يحيى المتوفى سنة ١٧٥ هـ بأنه جبل من العلم على جانب عظيم من المهـارة فى المنـاظرة قال عنه الامام الشافعى : انه لو ناظر الشيطان لغلبه . ويقول المقريزى عن أحد العلماء المشهورين : انه كان يشجع المنافسة بين تلاميذه ، بل كان يصر عليها وهو لا يرى بأسا من مخالفة التلميذ لاستاذه ما دام يفعل ذلك فى تأدب واحترام . ويرى الزرنوجى انه لابد للطالب من المذاكرة والمطارحة والمناظرة ، فاذا كانت نيته الزام الخصم وقهره فلا يحل ذلك . وانما يجوز ذلك لاظهار الحق »[٩٣] .

هذا وقد نبه ابن خلدون الى أن الركود الفكرى الذى شاع فى بلاد المغرب فى القرن الرابع عشر الميلادى يرجع بالدرجة الأولى الى طريقة التدريس الرديئة التى اهملت المناقشة والمناظرة . يقول ابن خلدون : « وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها . فنجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون

---

(٩٢) المرجع السابق ص ١٣٧ (٩٣) المرجع السابق . ص ١٣٨

ولا يفاوضون وعنايتهم أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العلم والتعليم »[٩٤] . هذا فى الوقت الذى لمسنا فيه — من العرض السابق — أن التعليم والمدارس فى ظل النظام الديمقراطى قد اتخذت وسيلة لتزويد الطلاب بغذاء عقلى مسموم . هدفه الدعايه لبعض الأنظمة الاستبدادية الجماعية . كما حدث فى ألمانيا النازية وايطاليا الفاشية ، وحتى عند مكافحة الأمية . لم يسلم الامر من مقصد وهدف غير انسانى لا يمت الى الديمقراطية بصله . لان تعميم التعليم ومحو الأمية كثيرا ما يتم فى حضانة النظم الاستبدادية .

من هنا فالمدارس التى تقدم التربية للصغار والكبار فى ظل الديمقراطية أغفلت فى معظمها المبادىء الأساسية للديمقراطية وخلت المناهج الدراسية من الصفات الحقيقية للديمقراطيه[٩٥] .

وحين نفتش فى التربية فى ظل الاسلام نجد الصورة على النقيض تماما ، فحرية المتعلم مكفولة . واسئلته لأستاذه واردة ، بل ومخالفته فى الرأى جائزة . والمناظرة مباحة .

وهذا هو الوجه الصحيح لبناء الشخصية الحرة التى يمكن أن تساهم فى تدعيم صرح المجتمع الحر البعيد عن عقد التحكم والاستعباد ، النزيه من العقد النفسية ، والمتخلص من الاتكالية ، والاحتكارية .

ولا نعدو الحقيقة والصواب اذا قلنا ان التربية الاسلامية حققت نماذج فى التعليم فاقت بكثير التربية الديمقراطية الحديثة .

ولقد استخدمت ثلاث قنوات فى التعليم ، تهدف جميعها الى بناء الفرد المسلم داخليا وخارجيا . هذه القنوات فى التعليم تضمن وتكفل تدعيم البناء الخلقى للفرد وهذه الطرق هى :

(ا) طريقة الارشاد والوعظ بأن نوضح للمتعلم الأمور النافعة والضارة ، ونعظه ونرشده للخير بطريق مباشر .

(ب) الأسلوب غير المباشر . وفيه تطرح أمام التلاميذ الحكم والنصائح والقصص التى توحى ويشم منها قيم تربوية صحيحة .

(جـ) أسلوب المثال . بمعنى أن يكون المعلم قدوة للمتعلمين فى أخلاقه حتى يتأسوا به ويسيرون على منواله .

---

(٩٤) المرجع السابق ، ص ١٣٨

(٩٥) المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٣

هذا ؛ ولقد نبه الفلاسفة والمربون المسلمون على أهمية التربية بالمثال . ونادوا بأن يكون مؤدب الأطفال متحليا بالفضيلة . معروفا بالأخلاق النبيلة . متجنبا للرذيلة .

وفى هذا المعنى قال عتبة بن ابى سفيان يوصى مؤدب ولده : « ليكن اصلاحك ابنى اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك . فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح ما استقبحت ... » وبالمثل اوصى ابن سينا الفيلسوف الطبيب أن يكون مع الصبى فى مكتبه صبية حسنة آدابهم . مرضية عاداتهم . لأن الصبى عن الصبى ألقن وبه آنس »[٩٦] .

ولقد عنيت التربية الاسلامية بتوفير كبر قدر من مناخ الحرية للطلاب . ويسرت لهم سبل العلم ووفرت لهم كل فرصة للتعليم من غير تفرقة بين غنى وفقير . فالكل سواء فى طلب العلم .

كما نوه الاسلام بضرورة تطهير قلب المتعلم من الرذيلة . فالتعليم والتعلم يعدان من العبادة ولا تصح العبادة الا مع طهارة القلب والتحلى بالأخلاق الكريمة كالصدق والأمانة والاخلاص والتواضع والتقوى والزهد والرضا والبعد عن الصفات الذميمة كالحقد والحسد والكبرياء والغش والفخر والخيلاء . وعلى المتعلم أن يتجمل بالفضيلة ولا يتباهى ويتفاخر أمام الناس وأن يثابر على تحصيل العلم . وأن يتبادل الاحترام مع المدرسين وعليه أن يثابر فى طلب العلم فى جد ودأب وأن تسود علاقات المحبة بينه وبين زملائه واخوانه . وأن يعود نفسه ويوطنها على طلب العلم[٩٧] . واستمرارا مع مبدأ اتاحة الحرية للمتعلم . حرص المربون من المسلمين على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الاقدام على معاقبته . وشجعوه على أن يشترك بنفسه فى اصلاح الخطأ الذى يأتيه . بل ويتناسون أخطاءه بعد أن يصلحها .

وفى عقوبة الطفل قيدتها التربية الاسلامية بأمور هامة أساسها أنه ضرب تأديب لا ضرب ايذاء ؛ بل ويعطى الطفل فرصة أن يصلح خطأه دون اللجوء الى الضرب أو التشهير به[٩٨] . ولقد صور الغزالى المعلم

---

(٩٦) محمد عطية الابراشى . التربية الاسلامية وفلاسفتها ؛ مطبعة عيسى البابى الحلبى . ط ٣ . القاهرة ١٩٧٣ ؛ ص ١١٢ ، ١١٣

(٩٧) المرجع السابق ؛ ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٩٨) المرجع السابق ، ص ١٥٠

كالطبيب . والتلاميذ كالمرضى وعلى الطبيب أن يعرف نوع المرض وسن المريض . وأن يعامل كل طفل المعاملة التى تصلح له وتناسبه . وعليه أن يبحث فى الدافع على الخطأ ، وعن سن المخطىء . كما يفرق بين الصغير والكبير فى التأديب . بحيث يصف لكل فرد ما يلائمه .

هذا والغزالى ينبه دائما على البعد عن الضرب والتوبيخ أمام الآخرين لأنه يؤدى الى فقد الثقة فى النفس . بل المطلوب هو اعطاء فرصة للمتعلم أن يصلح نفسه حتى يشعر بالنتيجة . وليس هناك مانع أن يتشجع المتعلم الكفؤ بمكافأة ــ حتى ولو معنوية[٩٩] .

بهذا نتبين أن التركيز الأساسى فى مجال التربية الاسلامية هو اصلاح المتعلم خلقيا ، بحيث يستطيع أن يكون فردا فى المجتمع يشعر بشعوره ويتألم لآلامه ويساهم فى حل مشكلاته فى حرية كاملة وكفاءة تامة .

* * *

رابعا ــ النتائج :

١ ــ الحرية فى التربية والتى تنادى بها النظم الوضعية من شرقية وغربية دعوى مزيفة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .

٢ ــ المظاهر السيئة والسلوك المنحرف دليلان قويان على فشل التربية الحديثة فى بناء الفرد السوى .

٣ ــ التناقض واضح بين أسلوب التلقين وكراهيته فى التعلم ، ففى الوقت الذى يوجه اللوم بشدة وعنف الى استخدام أسلوب التلقين فى التعليم يأتى حماة الديمقراطية ويخصصون قضايا معينة يستثنونها من الحكم تتعلق بأيديولوجية الجماعة وفلسفتها ويلقنونها للطلاب .

٤ ــ المثقفون من الشرقيين ممن انبهروا بالتربية الحديثة ، عليهم أن يراجعوا أنفسهم فسيروا أن نظرهم لم يعد يمتد الى ما وراء الحجب ، من سموم فتاكة تكمن وراء المذاهب الوضعية التى تريد الكيد للاسلام والمسلمين .

٥ ــ التربية الاسلامية مليئة بقيم تربوية صحيحة ، لأن مصدرها القرآن الكريم والسنة المطهرة .

---

(٩٩) المرجع السابق ، ص ١٥١ ، ١٥٢

٦ ــ التربية الاسلامية . صانت الفرد . وحققت له حرية ذات محورين . داخلى وخارجى . ولم تكن تلك التربيه بحال من الاحوال تتعارض مع طبيعة الكائن البشرى . بل على العكس استمدت مقوماتها ومصادر قوتها من توافقها مع النفس الانسانية وايمانها بتحقيق متطلباتها القلبيه والعقلية والبدنيه والروحيه والعاطفيه والاجتماعية . قال تعالى : **« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون »**(١٠٠) .

٧ ــ هناك ضباب ران على عقول وقلوب بعض من يكيدون للاسلام . وصوروا نظامه التعليمى بأنه لا يرقى لمستوى مشكلات العصر الحاضر وأنه يحجر على الفكر ويغلق باب الابتكار والاختراع . واستخدموا لذلك أقلامهم المسمومة . بل وقد يصل الأمر الى احداث تغييرات فى برامج التعليم تتوافق مع هواهم ان استطاعوا الى ذلك سبيلا .

٨ ــ الحاجة ماسة فى الآونة الأخيرة الى مراجعة قوية وصريحة لبرامج التعليم فى البلاد الاسلامية تتوخى فيها الصدق وتتحرى فيها الصواب . بحيث تتجلى المسألة وتعود الأمور الى نصابها . ويظهر التعليم الاسلامى بثوبه الأبيض الناصع الذى ينادى بالحرية قولا وعملا وفكرا وتطبيقا .

٩ ــ جميع المؤسسات التربوية مسئولة مسئولية مباشرة عن محاربة هذه الوسائل الهدامة التى تزمجر علانية وتنادى بأعلى صوتها هلموا الى تربية حديثة فيها تحرير للفرد وبناء للمستقبل !!

١٠ ــ الآباء والأمهات عليهم أن يساهموا فى علاج أساليب التربية الخطئة التى يمارسونها مع أبنائهم وبناتهم .

١١ ــ مطلوب عودة لاحياء التراث الاسلامى والفكر الاسلامى والنماذج الاسلامية التى تزخر ببطولات وملحمات نادرة بل وعزيزة فى عالم اليوم .

* * *

---

(١٠٠) الروم : ٣٠